الاتجاه الاتّصاليّ في تعليم اللّغات:
الفرضيّات الأساسيّة، والتطبيقات الصفيّة

د.عبد الكريم جيدور
مركز البحث العلمي والتقني
لتطوير اللغة العربية (وحدة ورقلة)

تاريخ الارسال: 2018/02/07 / **تاريخ القبول:** 2019/06/17 / **تاريخ النشر:** 2020/04/27

ملخص البحث:

يتطرق هذا البحث إلى **المنهج الاتصالي في تدريس اللغات**، المعروف اختصارا ب (CLT)، مركزا على تعريف هذا المنهج، استكشاف **فرضياته الأساسية**، تحديد أصوله العلمية والتربوية، والعوامل التاريخية والاجتماعية التي ساهمت في صياغته منذ ظهوره في سبعينيات القرن العشرين. كما يناقش البحث أبرز الإضافات التي أدخلها هذا الاتجاه في ميدان تدريس اللغات؛ انطلاقا من الأطروحات النظرية وصولا إلى التنفيذ العملي في حجرات الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

اتجاه اتصالي؛ تعليم اللغات؛ فرضيات؛ قدرة تواصلية؛ تطبيقات صفية.

Abstract:

Communication Language Teaching:
Main Assumptions and Classroom Activities.

In This paper we will **examine** the methodology known as ***Communicative Language Teaching*** or **CLT**, and we will **explore** the main assumptions it is based on; Its referential sources and historical origins since it was first proposed in the 1970s, and what are their great influenced factors in today's language teaching; from the theoretical approach to the practical work in classrooms and other language studying areas.

We understand **CLT** as ***a set of principles that guide the language course designer and the teacher in their work***, those principles covered the main factors of language teaching-learning; the practical goals, the description of learner processes in learning a new language, the kinds of classroom activities that best facilitate learning, and the roles of both teachers and learners in the classroom.

1ــ مقدمة:

الاتجاه الاتصالي في تصور أبرز روّاده يمثل **مجموعة من المبادئ والأفكار التي توجّه ميدان تعليم اللغات في جوانبه المختلفة**[1]؛ تصميم المناهج و الوحدات التعليمية والكتب المدرسية والدورات اللغوية، طرق التدريس، التخطيط والتنظيم العالمي والوطني لمختلف السياسات والتدابير المتعلقة بوضع اللغات؛ تعليماً وتعلُّما.

امتدت تأثيرات هذا الاتجاه إلى تدريس المواد ذات الصلة باللغة، كالأدب والنقد والحضارة[2] ويرى بعض الباحثين أنه وجه من وجوه العولمة الاقتصادية المعاصرة لتركيزه الواضح على الجوانب النفعية، ومنها قيمة اللغة الأجنبية كوسيلة جيدة للظفر بوظيفة مميزة، ودورها في إدارة الأعمال وفهم الاستراتيجيات والتطورات المالية[3].

ظهرت الأطروحات الاتصاليّة الأولى منذ بداية سبعينات القرن العشرين، وكانت عبارةً عن آراء وتحليلات مستخلصة من **النقد والتقويم المتواصل الذي تعرضت له طرق تعليم اللغات الأجنبية خلال الثُلثين الأولين من القرن العشرين**[4]، وقد وضّحت هذه الآراء أن تعلم اللغة وتعليمها لا يمكن أن يكون فعالا وذا قيمة عملية إلا إذا أخذنا في الحسبان عوامل أساسية تتحكم في معلوماتنا، ونظرتنا الأساسية للغة ولمن يتعلمها أهمها:

- ❖ حاجات الفئة الطلابية و إمكاناتها الحقيقية.
- ❖ طبيعة استخدام اللغة في المرافق الحياتية المختلفة.
- ❖ القيم والأعراف الراسخة عند المجتمعات وما تفرضه على مستخدم اللغة من قيود أخلاقية وثقافية وكيف تستخدم اللغة للتعبير عن هذه المتطلبات.
- ❖ الجوانب الجديدة والمتجددة من الاستخدام اللغوي الإبداعي كما هو الحال في الإعلام المعاصر والإنترنت.

استمر هذا الاتجاه بالانتشار والتمدد في كل أنحاء العالم، وكان لهذا الانتشار إيجابيات وسلبيات؛ فمن **أبرز إيجابياته** كثرة البحوث والدراسات والبرامج التدريبية العملية التي تبنت المقاربة الاتصالية وحاولت تطبيقها في ظروف تعليمية مختلفة؛ في حجرات الدراسة لطلاب المدارس من جميع المستويات، في دورات التقوية اللغوية لطلاب المدارس الثانوية، في دورات التأهيل للعمال والموظفين والطلبة المُبتعثين والعاملين في السلك الدبلوماسي، في أقسام اللغات الأجنبية والوطنية للمستويات الجامعية[5].

ومن **السلبيات التي كثرت الإشارة إليها** عدم وجود انسجام أو وحدة معيارية في المبادئ والأسس الموجهة لهذا الاتجاه[6]، وهذا ما أدى إلى وقوع خلط بين المقاربة الاتصالية الحديثة وبعض الطرق التعليمية التي جربت سابقا مثل الطرق النشطة والتعاونية بسبب التشابه الطفيف في الأساس النظري لكليهما.

إن كثيرا من المختصين يعتبرون **هذا المظهر الجدلي للاتجاه الاتصالي انعكاسا منطقيا لحقيقة هذا الاتجاه،** لأنه يتصدى لمحاولة إصلاح وتغيير شاملة وأساسية في طرق تعليم اللغات بما يُلائم التغييرات الجذرية التي يشهدها هذا الميدان، وما تفرضه التغييرات العالمية العميقة في التقدم العلمي والتكنولوجي والانفتاح الثقافي والاقتصادي من ضغوط تجبر المعنيين بميدان تعليم اللغات على بذل المزيد من الجهود لاستيعاب هذه المؤثرات الكبيرة و تحويلها إلى مصدر لإثراء الميدان وتعظيم مفعوله[7].

2ـ المفهوم المركزي: القدرة الاتصاليّة.

يهدف الاتجاه الاتصالي إلى توفير أفضل الطرق والتقنيات التعليمية لتدريس القدرة الاتصالية وهي **القدرة التي تمكن المتعلم من استخدام اللغة في إقامة اتصال مفيد،** والمحافظة على هذا الاتصال وتوطيده وصيانته من التلاشي والانقطاع[8]. والاتصال في حد ذاته هو **عملية ديناميكية غير ثابتة،** يرتكز على التحكم في الأفكار والمعاني المتعلقة بها، ويقتضي الاتصال –من حيث المبدأ– المشاركة؛ فكل قناة اتصالية تشترط وجود شخصين على الأقل[9].

تتضمن القدرة الاتصالية **أربع قدرات جزئية** وهي:

2ـ1ـ القدرة اللغوية:

هي قدرة المتعلم على استخدام **قواعد اللغة**[10] للتعبير عن حاجاته، أو إنجاز ما يطلب منه مع **التحكم الدقيق في صحة العبارة لفظا ومعنى**[11].

2ـ2ـ القدرة الكلامية:

هي قدرة المتعلم على ربط الأفكار لتكوين معاني مركبة في مستوى يتجاوز التراكيب الأساسية كالجملة مثلا[12]، بحيث يتمكن من تلبية حاجاته والتعبير عن رغباته **بطلاقة**[13] **ومن خلال تعبير واضح ومؤثر**[14]. وتتضمن هذه القدرة مرونة كبيرة في توظيف **التحليل التنازلي والتصاعدي** للتحكم في المعنى المراد التعبير عنه، أو استخلاصه من التعبيرات الشفوية والنصوص المكتوبة[15].

والتحليلان التنازلي والتصاعدي هما مفهومان مقتبسان من علم النفس العصبي يصوّر الخبـــراء من خلالهما **الحركة الذهنية الأساسية التي يستخدمها الدماغ البشري للتعامـــل مـــع المعلومـــات وتخزينها في الذاكرة** وتهيئتها تدريجيا لتصبح جزء من ذخيرة المعرفـــة والمهـــارات؛ فالتحليـــل التنازلي هو انتقال من الجزء إلى الكل، آلية الفهم فيه تنطلق من المعلومات الجديدة التي تســـتقبلها الأذن ويتم تحليلها إلى مستويات متدرجة من الأصغر إلى الأكبر[16].

وفي التحليل التصاعدي تكون آلية الفهم معكوسة؛ إذ يرتكز على معلومات سابقة خزّنها المتعلم في ذاكرته حول الموضوع الذي يثير إدراكه السمعي.

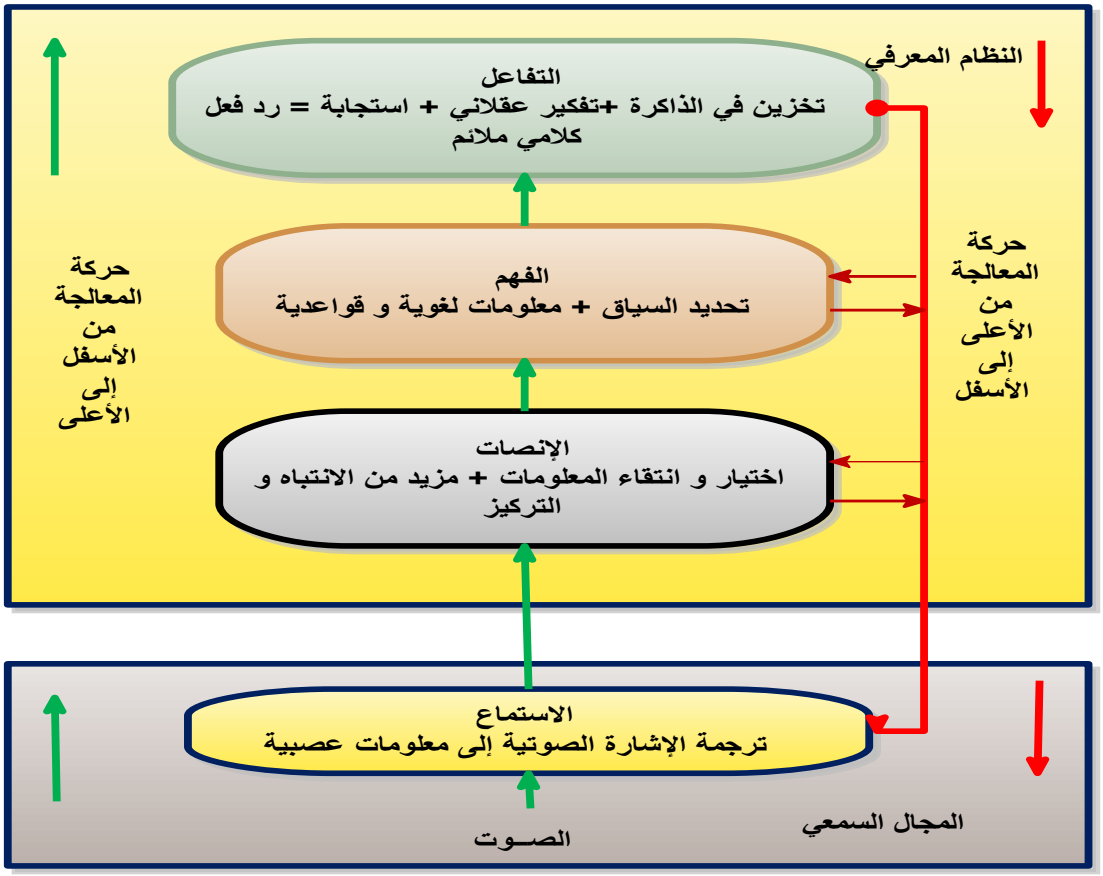

الشكل 1: طريقة الدماغ في التحليل التنازلي والتصاعدي للمعلومات اللغوية.

2ـ3ـ القدرة الاجتماعية الثقافية:

هي القدرة التي توضح أن المتعلم **مُدرِك بصورة ملائمة للقواعد والأعراف الاجتماعية التي ينبغي مراعاتها** عند استخدام اللغة في بيئات ومجالات ثقافية وفكرية مخصوصة؛ فيتعلم مراعاة طبيعة الأشخاص الذين يكلمهم من حيث: السن والمكانة الاجتماعية، ويتعلم العناية بخصوصية المكان والزمان؛ فليس المسجد كالمقهى، وليست المدرسة كالملعب. والحق أن هناك الكثير من المؤثرات والعناصر الفكرية والاجتماعية والثقافية التي تفرض نوعا مخصوصا من الكلام. وطرقا متفقا عليها في الأداء.

يُجادل بعض المختصين بأن الأخذ بكل هذه المعطيات عند إعداد مقرر أو دورة لغوية أمر معقد جدا، وحتى لو نجح التخطيط نظريا فإن إكساب المتعلم كل هذه الجوانب والمعلومات المفصلة محفوف بالكثير من الصعوبات، وفي مقدمتها صعوبة إقناعه بكل هذا الضغط المعلوماتي.

وقد أجيب على هذا الاعتراض بأن المعطيات الراجعة إلى السياق الاجتماعي والثقافي لانعتبرها في المنظور الاتصالي **لوائح أو قوائم من المعلومات يمكن تنظيمها وتوزيعها كما نفعل مع المفردات والقواعد**، ولكن يتعرف المتعلم عليها، ويدرك بنفسه خصوصيتها من خلال إقحامه في الاتصال الفعلي الذي يتضمنها؛ والمهم في الأمر أن يحصل المتعلم مبدئيا على إدراك كاف بوجود هذه الاعتبارات، ويتعرف على الطرق العملية التي يتم معالجتها بها في داخل نطاقاتها.

2ـ4ـ القدرة الإستراتيجية:

الاستراتيجيات بوصفها عوامل كثيرة الاستخدام في تعليم اللغات هي ممارسات تتميز بالحيوية والديناميكية يقوم بها المتعلم بنفسه لتحقيق فوائد أساسية أبرزها[17]:

1ـ السهولة	4ـ إضفاء الطابع الشخصي
2ـ السرعة	5ـ التركيز على المفعول العملي
3ـ أكثر إمتاعا	6ـ قابلية التطبيق في المواقف الجديدة

والقدرة الإستراتيجية في ما يخص الجانب الاتصالي من تعليم اللغات هي قدرة المتعلم على استغلال **الاستراتيجيات التواصلية** لتعظيم المكتسبات التي تحققت بفضل القدرات الثلاثة السابقة ومن خلال التدريب المنتظم والتجربة المستمرة يكتسب المتعلم قدرة على دمج مكتسباته المعرفية المتنوعة وبناء ملكته الاتصالية.

ففي مجال **تقوية الجانب السمعي** يُعتمد على نوعين من الاستراتيجيات؛ الاستراتيجيات المعرفية، وفوق المعرفية: فالأولى هي نشاطات ذهنية تقوي فهم الكلام المسموع من خلال تثبيت مدخلات في ذاكرة الاشتغال (working memory) ثم في الذاكرة طويلة المدى (Long-term memory) فتسترجع بطريقة آلية عند كل استدعاء، وتتألف من عناصر جزئية مرتبة.

أما الثانية فهي نشاطات ذهنية تساعد في تقوية الوظائف الجزئية التي تتطلبها الاستراتيجيات المعرفية ومنها على وجه الخصوص: تحديد المرجع السياقي، تحقيق الترابط والتسلسل بين الأحداث، اختبار مستوى ثبات وفعالية المعلومات بطريقة منتظمة[18].

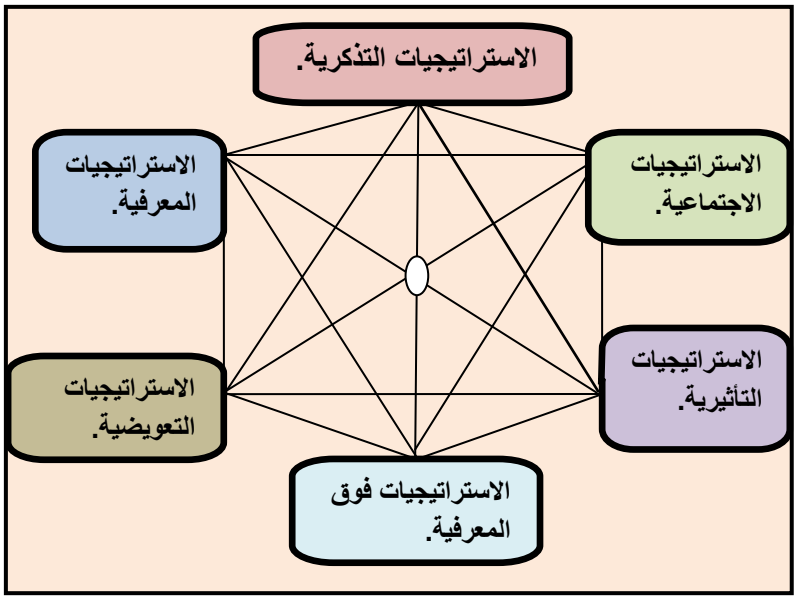

الشكل(2):الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة لتعلم اللغة.

تترابط القدرات الأربعة السابقة فيما بينها لتشكل المكون النهائي للقدرة الاتصالية، مع ملاحظة أن نسبة تركيزها مختلفة؛ فالقدرة اللغوية تغطي مجالا يقدر بالثلث (حوالي 35%)، وتغطي كل من القدرة الكلامية والاجتماعية–الثقافية مجالا متقاربا (حوالي 25%) لكل واحدة منهما، والباقي تغطيه القدرة الاستراتيجية (حوالي 15%).

ومعنى ذلك أن هذا التفاوت في التركيز ينبغي أن يؤخذ في الحسبان عند إعداد المقررات والدورات اللغوية، ويمكن أن نلاحظ أن المنظور الاتصالي يوفر مجالا ملائما للمعطيات اللغوية ويَعتبر الجوانب الأخرى غير ممكنة من دونها.

3ــ الفرضيات الأساسيّة:

يقوم الاتجاه الاتصالي على مجموعة من الفرضيات المستمدة من ملاحظة نشاط تعلم اللغات في الميدان، والتقويم النقدي للطرق المعتمدة، إضافة إلى النقاشات الجارية بين المختصين الاتصـــاليين في حد ذاتهم. وتشكل هذه الفرضيات **إطارا نظريا يوجه مصممي المقررات والمدرسين في حجرات الدراسة نحو اقتراح طرق وأنماط تتميز بالحيوية والديناميكية**، وتأخذ في الحسبان حاجات الفئـــة الطلابية، وخصائص بيئة التعلم المحيطة بهم، ونوعية الوسائل والوسائط المتاحة بين أيديهم. وفيما يلي عرض مختصر للفرضيات العشرة الأساسية التي تشكل الاتجاه الاتصالي المعاصر:

1ــ يكون تدريس اللغة الثانية أكثر سهولة عندما يندمج المتعلمون في أجواء صناعة التواصـــل الفعال، وعند شعورهم بأن ما يقومون به له أهداف ومنافع.

2ــ التمارين الجيدة الإعداد، والمهام التي يكلف بها الطلاب تضفي حركية وحيوية على حجرة الدراسة، وتساعد المتعلمين على توسيع مخزونهم اللغوي.

3ــ كل نشاط تواصلي ينبغي أن يكون هادفا وذا مغزى، وذلك لتكون نتائجـــه وثيقـــة الصـــلة بالجهود التي يبذلها الطلاب، فلا يشعرون بالفراغ، أو أن جهودهم غير مثمـــرة. وعنـــدما يشـــعر الطالب أنه يحقق من خلال نشاطه في التعلم تقدما ملموسا –ولو كان صغيرا– فإنه يحـــافظ علـــى مستوى ملائم من المبادرة والتحفيز.

4ــ إن عملية بناء العلاقات ومحاورة الآخرين وإقناعهم، وغير ذلك من الأوضاع الاجتماعيـــة والاتصالية تتطلب توظيفا فعالا ومُتقنا للكثير من المهارات اللغوية، مدعومة بمهارات اتصالية تمنح المتعلم إمكانية صيانة قناة الاتصال والحفاظ على استمرارها.

5ــ هناك ثلاثة إمكانات متاحة للمدرس ليُسيّر برنامجه التعليمي؛ يمكن أن يعتمد على النشاطات والتدريبات المرتكزة على الاستقراء، أو يستخدم البعد الاستكشافي في استخراج القواعد وفهم طبيعة التنظيم اللغوي في الجمل والنصوص، كما يمكنه أن يعتمد على نشاطات وتمارين تتطلب نوعا من التحليل والتفكير النقدي.

6ــ تدريس اللغة هو **عملية متدرجة تتطلب استعمالا خلاقا وإبداعيا**، وينبغي للمدرس أن يتعامل بحذر مع محاولات الطلاب، وبخاصة تلك الأخطاء التي من المتوقع أن يحدثوها في أثناء عملهـــم على بناء عباراتهم وجملهم الخاصة. يمنح المدرس للطلاب المجال للتعبير وأخذ زمام المبادرة في الكلام، ولا يفاجئهم بكثرة التصحيحات الفورية، لكنه يبقى يقظا ومتفطنا لهذه الأخطاء، وعليـــه أن يسجلها ويحللها ليعرف أيها الذي يكثر ويشيع عند أغلب الطلاب فيعالجه بالطرق الملائمة، ويلاحظ أيضا الأخطاء الفردية التي تكثر عند طالب واحد فيوافيه بها بصفة شخصية ويحثه على تداركها.

7ــ إن المتعلم ليس رجلا آليا يسمع التعليمات وينفذها بحذافيرها، بل هو مخلوق مجبول على التفتح الذهني والإبداع، وسيلاحظ المدرس أن أكثر الطلاب يميلون تدريجيا إلى إضافة لمستهم الخاصة على نشاطات التعلم التي يقومون بها، وإذا وجدوا الظروف والمجال مفتوحا من طرف المدرس فإنهم يقترحون أشياء لها فعالية واضحة، ويكون لاقتراحات الطلاب تأثير محفز على بعضهم أكثر بكثير من الأفكار التقنية الصارمة التي يعتقد المدرس أن مفعولها مضمون.

8ــ يكون تعليم اللغة ناجحا من خلال: الطرق التعليمية الفعالة، ونشاط المدرس الذي يركز دائما على قيمة معلوماته ومدى ارتباطها بحاجات طلابه، مع التأكيد على الدور الحاسم الذي أصبحت تلعبه الاستراتيجيات التواصلية في هذا المجال.

9ــ في حجرة الدراسة يحاول المدرس أن لا يكون سلطويا أو جافيا، بل يكون حازما؛ يؤثر في طلابه بفهمه لمتطلباتهم، وبالحلول العملية التي يقترحها إزاء المشاكل والصعوبات التي تواجههم وبكونه صادقا غير مفرط ولا مبالغ في التوقعات.

10ــ إن حجرة الدراسة هي عبارة عن جمهور، أو مجتمع صغير، يشكله الطلاب فيتعلمون ويكتسبون المعرفة والمهارات عن طريق تعلم بناء العلاقات والأواصر مع بعضهم، والنظرية التربوية المعاصرة تقول بأن الطلاب إذا لم ينجحوا في تنظيم العلاقات وتحقيق الفوائد والمشاركة والتعاون في مجتمعهم الصغير الذي هو حجرة الدراسة فمن المتوقع أن لا يحالفهم الكثير من النجاح إذا خرجوا إلى المجتمع الكبير وأصبحوا في مواجهة مباشرة حيث تُختبر معارفهم ومعلوماتهم اللغوية الاختبار الجدي والحقيقي[19].

4ــ العناصر المؤثرة في عملية التعلم:

يرتبط الاتجاه الاتصالي بالأهداف الأساسية المرتقبة من تعليم اللغات، وتغطي هذه الأهداف أربعة عناصر مترابطة نوضحها فيما يلي:

4ــ1ــ الهدف النهائي لتعلم اللغة:

القدرة التواصلية هي الهدف النهائي الذي تسعى كل طريقة تعليم اتصالية الوصول إليه. وهي المعرفة العمَلية بكيفية استخدام اللغة بصورة صحيحة و فعالة داخل أي مجال أو سياق يحتاج فيه المتعلم إلى استخدامها[20]؛ فتتضمن التحكم في قواعد اللغة لإنتاج جمل صحيحة نحويا وتتضمن إدراكا و تفاعلا إيجابيا مع الحالات و الأوضاع الاتصالية المختلفة التي يتطلبها دخول الإنسان في مرافق المجتمع وحاجته الكبيرة إلى فهم من يحدثه، والرد عليه بالكيفية المناسبة ويتطلب استخدام اللغة في الاتصال والتفاعل مع الآخرين التفطن إلى دورها في التأثير والإقناع وبناء العلاقات.

ومحصول القول أن إتقان اللغة لا يتوقف عند القدرة على تكوين جمل وعبارات صحيحة أو قراءة نصوص طويلة أو كتابة مقالات دقيقة، بل يتجاوز ذلك إلى استخدام اللغة كأداة لبناء الروابط

وصيانتها، والتفاعل الايجابي مع الآخرين عن طريق الاختيارات الملائمة والمنسجمة مع المواقف المختلفة في الحياة.

4ـ2ـ كيف يتعلم الطلاب اللغة:

يتم التعلم عن طريق **اندماج وتنسيق بين مجموعة كبيرة من العوامل**، وتنتج هذه الظاهرة في إطار مجموعة من العمليات التي تحتاج إلى تنظيم وتخطيط ومراجعة مستمرة. ويركز الاتجاه الاتصالي على الجوانب الآتية:

1ـ منح المتعلم أكبر الفرص والمجالات للتفاعل والاندماج مع اللغة ومستعمليها الأصليين في ظروف طبيعية أو خالية من التكلف والضغط.

2ـ اللغة ظاهرة اجتماعية تنتج بطريقة تعاونية؛ المتعلم يبدع في إنتاج العبارات عن طريق التعاون والمساعدة المتبادلة بينه وبين زملائه.

3ـ يركز في محتوى الدورات اللغوية على إظهار قدرات اللغة على إنشاء الاتصال الفعال والمفيد.

4ـ يركز المدرس على تشجيع المتعلم و حثه على المبادرة للحديث، ويغض الطرف عن أخطائه النحوية[21]، ويخفف من تردده وانقباضه، ويفتح المجال له ولزملائه للتعاون على بناء العبارات، وتشكيل الجمل المناسبة بأكثر من وجه ممكن، وذلك ليتفطن الطالب تدريجيا إلى الخصائص الفنية والبلاغية التي تزخر بها اللغة، ويخوض بنفسه عملية تحويل المعنى من مجال الخواطر المُبهَمة إلى مجال الألفاظ البيّنة المُعلنة.

5ـ التقوية المتدرجة والمتكاملة للملكة اللغوية بإيلاء عناية خاصة لتطوير القدرة على تحليل الكلام المسموع وفهمه في مستويات وحالات وسرعات مختلفة، وتعليم الطالب طريقة الاستفادة منه في اقتباس صيغ وعبارات جديدة وضمها لرصيده.

6ـ يركز على التنويع في طرق العرض والتدريبات والأنشطة، لتجاوز الروتين والملل الذي يقلل فرص التركيز عند المتعلمين.

4ـ3ـ دور المدرس:

يركز المدرس على الأعمال التي تظهر تعليم اللغة بصورة إيجابية لطلابه، فمن خلال نجاحه الشخصي في الكلام والكتابة والمواد الجيدة والمشوقة التي يحضرها لهم يبني جسرا من العلاقة المميزة، وطوال مدة التعليم يظل المدرس متفطنا لأداء طلابه، ويسجل الملاحظات حول إنجازاتهم وردود أفعالهم أولا بأول، وعندما يلاحظ أن جو التدريس غلبت عليه مدة طويلة من الفتور ينبغي أن يراجع خطته من حيث المادة اللغوية وطرق التقديم، ولكي يتمكن من ذلك فهو مطالب بمزيد من البحث والقراءة وطرح الموضوع على زملائه وعلى المختصين في هذا المجال.

4ـ4ـ دور الطالب:

يهدف التعليم الحديث إلى تكوين طلاب يتميزون بالانفتاح الذهني، والذكاء المتعدد الجوانب، ولا يهدف إلى تكوين أفراد سلبيين يعتمدون كليا على المدرس، ولا يوجد عندهم أي قدر من الابتكار والتجديد.

وقد لاحظ الخبراء أن تخوف الطالب من الكلام، سواء باللغة الأولى أو اللغة الثانية يرتبط طرديا مع قدراته الإبداعية، والمستوى الذي بلغه في القراءة والاطلاع. ومن جهة أخرى، يلاحظ أن أفضل الطرق لتحفيز نسبة كبيرة من الطلاب هي تشجيعهم على إنجاز الأشياء التي تعلموها في حصة الاكتساب العام بطرق تعاونية؛ فبعد أن يبني المدرس القسط المقرر من المعلومات ويتحقق من إتقانه بتدريبات مختلفة، يتحول إلى النشاطات الجماعية فيقسم الطلاب إلى مجموعات وأزواج، ويمكن أن يحول النشاطات إلى تنافس.

5ـ النموذج المعرفي الاتصالي والتغييرات الرئيسية في ميدان تدريس اللغات:

لقد أحدث الاتجاه الاتصالي تغييرات وتطويرات أساسية في العديد من جوانب تعليم اللغات وهناك مجموعة من المفاهيم التي يتم تداولها في الوسط التعليمي المعاصر كانت نتيجة من نتائج هذا الاتجاه، تم تطويرها في إطار معطيات مستمدة من التجارب والمشاهدات الميدانية ولذلك يسهل تطبيقها والتحقق من فعاليتها، وفيما يلي ثمانية من أبرزها:

5ـ1ـ استقلالية المتعلم:

يُمنح المتعلم اختيارات كثيرة في كل جوانب التعلم؛ في المادة المقررة، وفي التدريبات والتمارين والواجبات المطلوب منه إنجازها. وتزداد الفرص لتحقيق هذا المبدأ عندما يعتمد المدرس على تحريكات نوعية وكمية داخل حجرة الدراسة بصورة منتظمة، فبعد حصة العرض يقسم الطلاب إلى مجموعات عمل صغيرة العدد (3-5 طلاب) ويختار المدرس مجموعة من الطلاب للإشراف على نشاط المجموعات وإجراء عملية التقويم بأنفسهم، وبعد ذلك يتم مناقشة الأعمال ونتائج التقييمات بصفة جماعية، فتظهر غالبا وجهات نظر وأفكار الطلاب التي تُوجه المدرس للتغييرات والإضافات المفيدة التي يحتاجها مستقبلا.

5ـ2ـ الخصائص الاجتماعية للتعليم:

التعلم هو تركيب ودمج بين عدد كبير من العوامل والعمليات الجزئية، ولا يتعلم الطالب في حجرة الدراسة من المدرس فقط، بل يتعلم الكثير من الأفكار والسلوكات والمهارات من احتكاكه وتعامله اليومي والمباشر مع زملائه. ومن الواضح أن طبيعة هذا التعاون بين الطلاب، وتوفير المجال الذي يسمح بنموه وتعميقه ينعكس مباشرة في نتائج التعليم النهائية، ومن الملاحظ أن التعليم المبني على المشاركة ينمي عند الطلاب جوانب تربوية غاية في الأهمية، فهو يعمق عندهم الشعور

بالمسؤولية الذاتية عن تعلمهم، لأن جهودهم وأفكارهم لا تؤثر عليهم فقط بل تؤثر على بقية الأعضاء في المجموعة.

5ـ3ـ المقرر المندمج:

اللغة أداة ووسيلة تفتح الآفاق والمجالات لاكتساب المعرفة والعلوم والآداب، وليست مادة دراسية بحتة، والمقرر المفيد في تعليم لغة من اللغات هو ذلك الذي يربطها بصورة عميقة ومباشرة مع المجالات العلمية والحياتية التي تُنجز بواسطتها.

ففي المقاربة المرتكزة على النصوص يحدد الهدف وهو الطلاقة اللغوية، و يتم بلوغه بالاعتماد على مجموعة كبيرة من النصوص مختارة بناء على تحليل احتياجات الفئة الطلابية في المواد العلمية والأدبية وكذلك ما تتطلبه مجريات الحياة اليومية مثل متابعة الأخبار والبرامج الإعلامية والترفيهية ومجال الرياضة والفنون وغير ذلك.

5ـ4ـ التركيز الشديد على المعنى:

المعنى هو القوة المحركة والموجهة للتعليم؛ فالطالب لا يُبدي اهتماما بالمواضيع التي لا تشغل تفكيره، وتلك التي تقع في مجال بعيد تمامًا عن انشغالاته وهواياته، والمسار الوظيفي الذي يحلم به في المستقبل.

وللغة كالمركب تنقل بواسطة المعاني المكتسبات الإنسانية العلمية والأدبية والثقافية، ومهمة المقررات والبرامج اللغوية الحديثة أن تركز على هذه الطاقة التخزينية في اللغة البشرية، وتقدم من خلال المواضيع المختارة مفاتيح موجهة تشجع الطلاب على البحث والتقصي والفهم بواسطة المخزون اللغوي الذي حققوه، والمخزون المضاف إلى رصيدهم باستمرار من خلال هذا البحث والقراءة والمطالعة والمناقشة والشرح للزملاء.

5ـ5ـ التنوع:

المتعلمون يزاولون التعلم في ظروف مختلفة وبطرق متعددة، وتختلف درجة تكيفهم أو مقاومتهم لهذه الظروف، ولذلك ينصح المدرس بتجنب النظرة الأحادية التي تفرض نمطا أو طريقة واحدة على الطلاب بغض النظر عن فعاليتها، ودون مراعاة استجابتها لمعطيات البيئة التعليمية وحاجات الطلاب.

5ـ6ـ مهارات التفكير:

يجب أن يتم توظيف اللغة لتطوير نظام عال النسق من مهارات التفكير؛ التفكير النقدي والإبداعي. وللأخذ بهذه الأفكار ينبغي أن يتعود الطلاب أن اللغة لا تتعلم لذاتها ولكن من أجل دعم وتطبيق مهارات التفكير في ظروف وأجواء متنوعة، تشمل ما سيواجهونه في المدرسة وكذلك خارج المدرسة.

5ـ7ـ التقييم الاختياري:

الأشكال الجديدة لقياس عطاء الطلاب وتقويم إنجازاتهم مهمة جدا بالموازاة مع الأشكال المعروفة والمعمول بها، ويتطلب الأمر من المدرس التقليل من الاختبارات الرسمية، والإكثار من الاختبارات التشخيصية.

5ـ8ـ المعلم كموجه للطلاب:

المدرس هو الشخص الحاصل على تدريب جيد في مجال اختصاصه، يركز في حجرة الدراسة على اكتشاف مشاكل الطلاب ومساعدتهم على حلها، ويعمل باستمرار على طرح بدائل واقتراحات جديدة كطرق بديلة وغير روتينية لاكتساب المعرفة اللغوية السليمة، وبعبارة جامعة التعليم من خلال التركيز على الإنجازات والأداء العملي.

خاتمة:

يقدم الاتجاه الاتصالي نفسه في ميدان تعليمية اللغات من خلال اقتراحات وإضافات هامة في العديد من الجوانب؛ فهو أولا مجموعة من الأسس المنظمة والمترابطة في إطار فلسفة تعليمية تركز على الاحتياجات الفعلية لكل من المعلم والمتعلم، كما أنه إطار من المفاهيم التي تعبر عن تطلعات المعنيين المباشرين بمهمة تعليم اللغات، هذه المهمة التي يتعاظم تأثيرها والحاجة إليها في المجتمع المعاصر.

وتحتاج المقاربة الاتصالية في شقّيها النظري والتطبيقي إلى مزيد من التوضيح والتقريب، ذلك أن الأدبيات العربية حولها قليلة ولا سيما الإضافات الأكثر حداثة. وقد كانت هذه المقاربة في أول ظهورها محصورة في الجهود الأنجلوسكسونية لكنها انفتحت وانتشرت بمرور السنوات وأصبحنا نعثر حاليا على جهود أوربية وشرق آسيوية ضافية في هذا المجال. ومن المنطقي أن تواكب البحوث العربية هذا التوجه العالمي الذي تتأكد نتائجه الممتازة يوما بعد يوم.

الإحالات:

[1] – Essentiales for Successful English Language Teaching,Tomas S.C. et Al,.Countinum international publishing group,York,UK,2010,p3-11

[2] – Literature in language education,Geof Hall,Macmillan,2nd Ed,2015

[3] – Globalization and Language Teaching,David block and Deborah Kameron,Routledge,UK,1st Pub,2002,p5

[4] – كانت القدرة اللغوية و تحديدا القدرة الفائقة في التحكم في قواعد اللغة هي المحور الأساسي الذي ارتكزت عليه برامج تعليم اللغات قبل ظهور الاتجاه الاتصالي، و المقاربة التعليمية السائدة وقتئذ كانت تقول: إن القواعد هي مركز اللغة و هي أهم شيء في الملكة اللغوية، و يمكن تدريس القواعد من خلال طرق مباشرة باستعمال منهجية مبنية على كم كبير من التكرار و التمارين التصريفية و التحويلية. و من الطرق التي طورت في ضوء هذه الفرضية: النزعة الصوتية الشفوية في أمريكا الشمالية (Audiolingualism) و طريقتها المشهورة هي الطريقة السمعية الشفوية (Audiolinguistic Method). و في بريطانيا ظهرت في نفس الفترة طريقة التدريس السياقية (Situational Language Teaching) التي تعتمد على برنامج متسلسل من الدروس، و كل درس ينقسم إلى ثلاثة أقسام متتابعة؛ العرض ثم التدريب ثم الإنتاج، و تعرف اختصارا ب (p-p-p). أنظر في هذا الصدد: Jack C Richards (2006), ***Communicative Language Teaching Today***, Cambridge University Press, p6-8. :

[5] – أنظر تفاصيل تجربة المجلس الأوربي الرائدة في هذا المجال في: Van Ek and Alexander(1980). ***Threshold Level English***. Oxford: Pergamon. و كذلك: تقرير المجلس الأوربي حول التعليم و التدريب: ***Education and Training Monitor*** *(2013)*, European Commission of Education.

[6] – S J Savignon(2006). ***Communicative Language Teaching***, Elsievier Encyclopedia of language and linguistics, p 1647

[7] – Jack C Richards (2006), ***Communicative Language Teaching Today.*** *P 12-13.*

[8] – Sandra J. Savignon (2002), ***Enterpreting Communicative Language Teaching***. P1-4.

[9] – ربيكا أكسفورد، **استراتيجيات تعلم اللغة**، تر: السيد محمد دعرور، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1996م) ص 18.

[10] – كلما ذكرنا مصطلح: قواعد اللغة فإننا نعني به جميع مستويات اللغة؛ الصوتية، الصرفية، النحوية، البلاغية (علم المعاني).

[11] – عرف اللغويون العرب الأوائل البلاغة بأنها: قوانين التبليغ الفعال. و التبليغ الفعال هو التعبير الذي يتحقق به أقصى إمكانية للتوضيح و البيان بأقل مجهود من الألفاظ و المعاني الجزئية. فكلما كان الكلام سهل المأخذ؛ موجزا من غير إخلال و مفصلا من غير إملال، كانت فرصته في البيان عند المتلقي أكبر و أعظم. أما البلاغة بمعنى فن الإبداع و الزخرفة اللفظية و المعنوية فهو جانب واحد فقط من جوانب التبليغ، و له مناسباته و مجالاته الخاصة به. أنظر في هذا الصدد: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان و التبين**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7–1998م) ج1، ص70 و ما بعدها.

[12] – يتكلم بعض الباحثين عن معطيات قريبة من هذا الجانب و هو ما كان يمثله النحو و قواعده الإجرائية بالمفهوم الموسع الذي كان عند واضعي علم العربية الأوائل. أنظر في هذا الصدد: السليطي، ظبية سعيد، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1–2002م)، ص 24.

[13] – الطلاقة في المفهوم الاتصالي الحديث هي صفة مزدوجة تطلق على الكلام الناتج، و على الطريقة التي ينتج بها؛ و نظيرها عند العلماء العرب الفصاحة و هي أن يتكلم المتكلم بكلام يشبه كلام الفصحاء الموثوقين، و الفصحاء هم الذين تعلموا اللغة العربية منذ ولادتهم، و ليس من معلم في مسجد أو مدرسة أو نحو ذلك، فهم أصحاب السليقة. أنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي و مفهوم الفصاحة**، (الجزائر: موفم للنشر، ط1، 2007م)، ص 15 و مابعدها.

[14] – ربيكا أكسفورد، استراتيجيات تعلم اللغة، ص 19–20.

[15] – Jack C Richards (2008).***Teaching Listening and Speaking Fro; Theory to Practice***. Cambridge University Press. P 4-10.

[16] – تم ضبط هذه المستويات في ضوء تحقيقات النظرية النظرية الخليلية الحديثة حول النظام التبليغي للغة العربية. أنظر في هذا الصدد: عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث و دراسات في علوم اللسان**، (الجزائر: موفم للنشر، ط1، 2007م)، ص 191–197.

[17] – ربيكا أكسفورد، **استراتيجيات تعلم اللغة**، ص 21.

[18] – Jack C Richards.***Teaching Listening and Speaking Form Theory to Practice***.. P 10

[19] – Jack C Richards (2006), ***Communicative Language Teaching Today.*** *P22-23.*

[20] – ظهر هذا المصطلح (القدرة التواصلية= communicative competence) في أواخر الستينات من القرن العشرين الميلادي، في أبحاث عالم اللسانيات و الحضارات (الأنثروبولوجيا) الأمريكي ديل هيمز (Dell Hymes) كمساهمة أساسية في البحوث و التحقيقات حول القدرة اللغوية عند الإنسان، انظر في هذا الموضوع: (Hymes D (1962/1968). "The ethnography of speaking" The Hague Mouton. P 99-138. Also Hymes (1971) "Càmpetence and performance in linguistic theory". New york Academic Press. Also (1972) "On communicative competence" Sociolinguistics. Harmondsworth; Penguin. P 269-285) و كانت النظرة المتداولة تحصر القدرة اللغوية في إحكام القواعد تصريفا و توزيعا (النظرة الوظيفية الأوربية و القرائنية الأمريكية) أو إنتاجا و تفريعا (النظرة التوليدية التحويلية).

[21] – لا يصحح المدرس فوريا، و لكن يراقب أخطاء الطالب و يسجلها ثم يفيده بها بصورة فردية، لأن التصحيح الفوري العلني فيه تشويش، و قطع لمحاولة الطالب في إنتاج الكلام، و هي غير موضوعية، فقد اتضح عمليا أن الأخطاء اللغوية هي من جملة الفوارق الفردية، فمن المستحسن أن يكون لدى الطالب ملف خاص بأخطائه يتعهده المدرس باستمرار.